

(المحاضرة الثالثة)

الأساس التاريخي للتربية:-

لقد مر الفكر التربوي بمراحل عديدة وازمنة وعصور مديدة تطور من خلالها واكتسب المعنى الاصلي له هو وغيره من العلوم والمعارف الاخرى التي بدورها تنشأ وتتطور وتكتسب الحقائق والدقة وتبتعد عن الاخطاء والغموض فكلما جاء جيل عالج المفهوم الذي كان عليه الجيل الاخر مع الاجتهاد في تحسينه وتطويره وهنا نسترسل في ذكر المراحل التي تطور فيها الفكر التربوي .

التربية البدائية:-

المجتمعات البدائية: هي المجتمعات التي عاشت في فترة ما قبل اختراع الكتابة (٤٠٠٠ ق.م) أي قبل العصور التاريخية .

يتصف المجتمع البدائي بانه :

- ١ - مجتمع غير متحضر ، يتصف بالعزلة وعدم التغير ، وقوة التضامن الاجتماعي بين الافراد ، اذ يشتركون معظمهم بالمعرفة والاهتمامات والافكار والانشطة على مستوى المجتمع بأكمله .
- ٢ - يتصف المجتمع البدائي ببساطة الحياة وقلة مطالبه وتقسيم ادوار العمل .
- ٣ - بالنظر لبساطة الحياة لم تكن هناك حاجة لمؤسسة تربوية (كالمدرسة) .
- ٤ - كانت التربية مهمة الوالدين والاسرة او من هم اكبر سناً .

انواع التربية البدائية : - تنقسم الى قسمين هما :

(١) التربية العملية : وهي تقوم على تنمية قدرة الانسان الجسدية اللازمة لسد الحاجات الاساسية مثل الطعام ، الملبس والمأوى وكان يقوم بها الابوان والاسرة .

(٢) التربية النظرية : وهي التي كان يقوم بها الكاهن او شيخ القبيلة من خلال اقامة الحفلات والطقوس الملائمة لعقيدة الجماعة المحلية .

اتسمت التربية في المجتمعات البدائية بالتقليد والمحاكاة وكان جوهرها التدريب الآلي والتدريجي والمرحلي ، إذ كان يقلد الناشئ عادات مجتمعه وطرز حياته تقليدياً عبودياً خالصاً ونظراً لان المتطلبات الحياتية لم تكن معقدة وكثيرة فلم تكن هناك مؤسسة او مدرسة تقوم بنقل التراث وكان يقوم بالعملية التربوية او التدريبية وعملية تكيف الافراد مع البيئة ، الولدان او العائلة او احد الاقارب وفي اواخر المرحلة البدائية كان يقوم بها الكاهن او شيخ القبيلة .

وقد كانت للتربية في هذه المجتمعات نفس اهداف الحياة العامة :

١ - المحافظة على الخبرة الانسانية والتقاليد السائدة .

٢ - تحقيق مطالب استمرار حياة الفرد وامنه النفسي .

لهذا تكونت التربية البدائية من عمليتين رئيسيتين :

١ - الاعداد اللازم للحصول على ضروريات الحياة، وتمكين الفرد من نفسه وممن يعتمدون

عليه، وبناء علاقات طيبة مع افراد قبيلته. وهذه العملية هي عماد التربية العملية .

٢ - تدريب الفرد على انواع العبادة التي يستطيع بواسطتها ان يرضي عالم الارواح ، ويثير

ارادته الطيبة. وبذلك يحقق لنفسه الامن والسلام. وهذه العملية هي عماد التربية النظرية. فهي

وسيلة الانسان لتعريف سرّ الحياة والكشف عن الحقيقة. فهو يجهد نفسه لفهم الطبيعة وعلاقة العالم المادي بالعالم الروحي. وبواسطة التربية النظرية يتمكن الرجل البدائي ان يفسر الناحية العملية للعالم .

ومن خصائص التربية البدائية :

١ - انها تعتمد على التلقين والتدريب العملي والتقليد اللاشعوري .

٢ - انها تتم بطريقة غير مقصودة بدون معاهد او مؤسسات خاصة بها ، بل يقوم بها المجتمع بأسره .

٣ - انها تربية مباشرة ، تتم عن طريق الخبرة العملية والاشتراك النشط للمتعلم اثناء تقليده لما يقوم به الكبار من نشاط جسدي او روحي .

٤ - غلبة روح المحافظة عليها .

سليباتها :-انها كانت تسعى لاستمرار العرف السائد في الجماعة دون تغيير او تعديل ،وتحاول تشكيل الفرد بالثقافة المحيطة به، دون ان يكون له مجال الحرية او الاختيار .

وتتم هذه التربية على مرحلتين هما :

١ - الفترة الاولى (مرحلة ما بعد الولادة) يبقى الطفل من خلالها في رعاية امه ، وتقوم الام بتدريبه على بعض الممارسات البسيطة التي تساعد على الاندماج باقرانه من الاطفال فقط دون الاندماج في المجتمع .

٢ - الفترة الثانية (مرحلة البلوغ) وكان الطفل في هذه المرحلة يدرب على طقوس تساعد على الاندماج بمجتمعه ، ويتم ذلك من خلال شيوخ القبيلة او الجماعة التي مهمتها الحفاظ على المعتقدات والتقاليد ، وكانت الطقوس الدينية هي الخطوة الاولى في الانتقال من التربية غير المقصودة الى التربية المقصودة .

أشكال التربية البدائية:- هناك ثلاث اشكال للتربية البدائية هي :

١ - التربية الجسدية: كانت المجتمعات البدائية تترك لأطفالها المجال الواسع في حرية اللعب التي من خلالها يقلدون الكبار في انشطتهم واعمالهم ، كصنع السيوف والرماح والنسيج وبناء الاكواخ وغيرها ،مثل هذه الاعمال المسلية تسهم في بناء الطفل جسدياً ،كما تسهم في تكوينهم الفكري عن طريق تنمية قابليات الملاحظة والتخيل والابداع .

٢ - التربية الفكرية العملية : ويغلب على هذا النوع من التربية الطابع العملي ، وتهدف الى تدريب الطفل على تلبية حاجاته ثم حاجات أسرته ، ويختلف هذا الاعداد حسب جنس الطفل وحسب تفكير القبيلة ، فاذا كانت القبيلة تعتمد على الصيد في حياتها ، فان الاطفال الذكور يدربون على حمل السلاح واستخدامه ، وعلى تسلق الاشجار ، وعلى اعداد الات الصيد والمطاردة ، واذا كانت القبيلة تعتمد على الزراعة فأنها تدرب اطفالها على رعي الحيوانات وحرث الارض ، اما الفتيات فإنهن يدربن على بناء الاكواخ وجمع الحطب .

٣ - التربية الخلقية والدينية : كان البدائيون يمتلكون ضمير يفرض على افكارهم قيوداً وضوابط ، ويشددون على تقديس الاجداد واحترام الشيوخ والاباء ، وعلى الشرف والصدق والوفاء ، اما المشاعر الدينية فكانوا يميزون فيها بين العالم المرئي والعالم غير المرئي .

واخيراً يمكن القول ان سر قوة التربية في المجتمعات البدائية يكمن في سببين :

١ - نجاح هذه المجتمعات في تربية صغارها وادماجهم في مجتمع الكبار بتعليمهم العادات والتقاليد .

٢ - قدرتها على اثارة تشوق الطفل للتربية واقباله عليها بدافع حقيقي .

التربية في حضارة وادي الرافدين:-

تمتد جذور المعرفة والتعليم في حضارة وادي الرافدين الى فجر التاريخ اذ بدأ التدوين لأول مرة في تاريخ البشرية في منتصف الالف الرابع قبل الميلاد ، ولعب العراق دوراً بارزاً في نقل مشعل الحضارة الى خارج رقعته الجغرافية عبر المراكز الحضارية في سومر واكد التي ظلت ثقافتها مزدهرة على مدى ما يقرب من ثلاثة الاف سنة ، وقد دل مسح النصوص التي يمكن ارجاعها للألف الثالث قبل الميلاد الى وجود مدارس رسمية في وادي الرافدين في فترة تسبق ظهور الازمنة البابلية القديمة . كما ظهرت في عصر حمورابي مدارس لنسخ الكتب وتعليم الناشئة . وقد اسست اول مدرسة في العالم في بلاد ما بين النهرين وغدا التعليم نظامياً في بلاد سومر بعد ان ازدادت المدارس زيادة ملحوظة .

وفي اوائل القرن العشرين تم اكتشاف عدد من اللوحات المدرسية كانت مادتها تتحدث عن الادارة والاقتصاد ، كما تظهر اللوحات ان اعداد من مارسوا الكتابة كانوا بالآلاف . وقد مدتنا الاكتشافات الآثارية بما يتعلق بالمدرسة في بابل القديمة ، اذ بينت ان فيها غرفاً تحتل وسطها مصطبات واطئة من الحجر تسع الواحدة منها لاثنتين وثلاثة واربعة طلاب ، وكانت تنشر مجموعة من اللوحات لممارسة الكتابة .

وقد عرف العراقيون القدماء علوم الجغرافيا والرياضيات والحيوان والنبات واللاهوت والتعدين وعلم اللغة فضلاً عن الآداب .

البابليون هم شعب سكنوا في جنوب حوض الرافدين ، بينما الاشوريون سكنوا في الجزء العلوي منه . كانوا يميلون الى التدين ، اما عن المدارس فقد عرفوها وكانت تمثل لديهم ضرورة لأنها توفر الرفاهية للأفراد ، كذلك عرفوا جدول الضرب والنظام العشري في العد ، ونظام تعليم القراءة عن طريق تجميع مقاطع الكلمات ، كما عرفوا الفلك والرياضيات ، واوجدوا نظام الاسبوع المؤلف من سبعة ايام ، والتشريع والنظام واشهرها شريعة حمورابي ، ووضعوا تصنيفات مهمة للمملكتين النباتية والحيوانية .

اما نظام التعليم فقد كان صعباً اذ كان على الطالب ان يواظب على دروسه يومياً من الشروق وحتى المغيب ، وسنين الدراسة كانت طويلة فالطالب كان عليه ان يلازم المدرسة منذ صباه الى ان يصبح شاباً ، وكان مدير المدرسة يدعى (اب المدرسة) وكان يلقب بالأستاذ احتراماً له وكان ينظر اليه بعين الاجلال والوقار ، اما المعلم فكان يتمتع بمركز اجتماعي مرموق فهو اعلى من الكاهن والضباط والوالي ويلقب بالعلامة او الاستاذ ، اما التلاميذ فكانوا يسمون انفسهم (ابناء المدرسة) وكانوا يتمتعون ايضاً بمكانة محترمة في المجتمع .

توفرت لدى السومريين والبابليين والآشوريين الموصفات المطلوبة لذهنية ذات توجه علمي بشكل حقيقي . امتازوا قبل كل شيء بتطلعهم الشديد لضروب المعرفة : جمع الارقام القديمة ، تأسيس متاحف للآثار ، جلب انواع نادرة من النباتات والحيوانات غير المعروفة من مناطق بعيدة . كما اتصفوا بالصبر والولع بالتفاصيل ، وامتلكوا قوة ملاحظة نفاذة ، ودرسوا الطبيعة بحماس مسجلين وموحدين كمية كبيرة من المعلومات الخالصة اكثر من توخي اغراضها

العلمية . وفي اقراره بفضل حضارة وادي الرافدين على الحضارة الاغريقية والحضارة المعاصرة ، يقول جورج رو " بالنسبة لنا نحن ابناء القرن العشرين يجدر بنا ان نعترف بديننا لسكان وادي الرافدين القدماء . وفي الوقت الذي نقدم فيه على كبح جماح الذرة ونعد انفسنا لاكتشاف النجوم ، فان من العدل ان نتذكر بأننا ندين للبابليين بالمبادئ الاساسية لرياضياتنا وفلكنا بضمنها نظامنا في الارقام ذات القيمة المرتبية والنظام الستيني الذي ما نزال نقسم بواسطته دائرتنا وساعاتنا ... هناك ايضاً الكثير من الاصول العراقية القديمة التي يمكن تحريها في الكتاب المقدس ... وفي الواقع فان الاساتذة الكلاسيكيين الذين وقفوا مبهورين لفترة طويلة امام ما تدعى (المعجزة الاغريقية) بدئوا الان يدركون كامل حجم الزخم الهائل للتأثيرات الشرقية على النواحي المولدة من الفكر والفن والاخلاق الاغريقية . وكان الشرق معتمداً بدرجة كبيرة على حضارة وادي الرافدين طوال الجزء الاكبر من الحقبة التاريخية ما قبل الكلاسيكية " . ورغم تسربله بالخرافات ، تميز طب وادي الرافدين ببعض سمات العلم الايجابي " وهو العلم الذي انتقل الى الاغريق وعبد الطريق مع الطب المصري للقيام بالإصلاح الابقراطي العظيم للطب في القرن الخامس ق. م " . انصبت جهود سكان وادي الرافدين في مجال الكيمياء على تطبيقاته العملية ، وعرفوا المعادن ومعالجة المواد المعدنية وتنقيتها ، ويميزوا بمهارة ودقة تصنيعها وتشكيل السبائك غير المألوفة اما في مجال التاريخ فلم يفتن القوم لتحديد نقطة تاريخية لكتابة التاريخ على اساسها كما هو قائم حالياً بالنسبة للتاريخ المسيحي (الميلادي) والتاريخ الاسلامي (الهجري) ، بل كانوا يؤرخون السنين حسب الحوادث المهمة ، ومن ثم ادخل الكشيون (العصر البابلي الوسيط) طريقة جديدة تستند الى تسلسل سني حكم الملوك . واخيراً ، ابدع اهل وادي الرافدين في مجال الفنون والعمارة ، لكونها احد الحقول الاكثر قرباً لخدمة الالهة - المعبد والقصر - لذلك ترك فن وادي الرافدين اثره حتى على وادي النيل بالإضافة الى اليونان ، كما هو واضح في العمود

الايوني الذي يرجع اصله الى بلاد سومر ، اذ كان رمزاً دينياً في العصر الشبهي بالكتابي .
وترجع اصول المعرفة بـ " شجرة الحياة " وانتشار تسميتها الى الفن السومري ، فقد جاء ذكرها في
سفر التكوين من التوراة عند الحديث عن خطيئة ادم وحواء في جنة عدن .